جامعة القاهرة
كلية الحقوق
قسم فلسفه القانون وتاريخه

أثر القانون الرومانى على الشرائع قديمها وحديثها

رسالة مُقدمة للحصول على درجة الدكتوراه

من الباحث

محمد عبد الحفيظ جاد عبد الحفيظ يوسُف

لجنة المُناقشة والحُكم على الرسالة

الأستاذ الدكتـــور / محـمـــود عـــز العرب السقا مشرفاً ورئيساً
رئيس مجلس الشعب الأسبق
أستاذ ورئيس قسم فلسفه القانون وتاريخه
كلية الحقوق – جامعة القاهرة

الأستاذ الدكتـــور / مـحـمـد علـــى مـحـجـــوب عضـــــواً
وزير الأوقاف السابق
أستاذ الشريعة الإسلامية –جامعة عين شمس

الأستاذ الدكتـــور / السيـد عبـــد الحميد فودة عضـــــواً
عميد كلية الحقوق – جامعة بنها
أستاذ ورئيس قسم فلسفه القانون وتاريخه

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}

صدق الله العظيم

سورة مُحمد الآية :[٧]

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ :"قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ"

(صحيح البخاري)

باب فضل ذكر الله عز وجل

الجزء الخامس ص ٢٣٥٣

يقول الإمام الشافعى "رَحِمَهُ الله" :

"العلمُ بطيء اللزام بعيد المرام ، لايُدرك بالسهام ولايُرى فى المنام ، ولايُورثه الآباء والآعمام ، وإنما هى شجرة لاتصلح إلا بالغرس ، ولا تُغرس إلا فى النفس ، ولا تُسقى إلا بالدرس ، ولا يُحصل إلا لمن أنفق العينين وجثا على الرُكبتين ولا يُحصل إلا بالإستناد على الحجر وافتراش المدر[١] وقلة النوم وصلة الليل بالنهار . فمن طرق باب العلم وشق طريقه حتماً هو ينقص من عُمر حياته الأُسرية ليُضيف عُمراً إلى عُمر حياته العلمية ومن ضغط على زناد قلمه مُجتهداً حتماً سيُصيبُ هدفه ".[٢]

{ لاتترُك لوالديك أقل ما تترُك لأولادك }

{ عارٌ عليك أن تكتُب ما ليس لك ، وسوء خُلق أن لا تكتُب ما عليك }

{ إنك لتبلغ مِن طَاعة النّاس لك بالحُجة والإقنَاع مَالا تبلُغه بالقوُة والإخضَاع }[٣]

(قواعد رومانية)

---

١) طين لزج مُتماسك .

٢) مُقتبسة من مُقدمة رسالة – د/ بلال عطيه حسين فرج الله – بُطلان الشركات التجارية فى القانون الفلسطينى "دراسة مُقارنة" –جامعة الدول العربية – ٢٠١٥م .

٣) د / عبد العزيز فهمى باشا – قواعد وآثار فقهية رومانية – مطبعة فؤاد الأول – القاهرة – ١٩٤٧ م – ص٣٦و٤١و٤٨ .

إهـــداء

إِلَى أُمـــيِ وَأَبِـــــي

المعلمين فِـي الصغر وَالمُـرَبِّينَ فِـــي الكِبـَرِ

إِلَـــى عـائلتـــــــى

وإلى كل مَنْ عَاونَنِي وسَاعدنِي .

الشكروالتقدير

الحمد لله الذى هدانى إلى معرفة ذلك الرجل الفاضل والمُعلم الماهر والفقيه العامر بالعلوم الكثيرة والمعلومات الوفيرة الدكتور/محمود عز العرب السقا مُعلمى لا أقول ذلك رياءً ولا نفاقاً ، وإنما صدقاً وعدلاً ؛ لأنه رجل لايخاف فى الله لَومة لائِم ، فله من المواقف والآراء الصريحة الجريئة ، وكيف لا وقد وعَى القُرآن فى صدره وقد شَرُفت بأن علمنى بين جنبات تلك الكلية العريقة مما أفاض الله عليه من العلم، فضلاً عن خفض جناحه لمن جاءهُ يطلُب العلم ، ولا أستطيع فى تلك السطور القليلة البسيطة المتواضعة شُكر وتقدير ذلك العلامة الماهر والفقيه الحاذقوالمحامي النابغ ، **العالم الدكتور / محمود عز العرب السقاجزاك الله عنّا خَير الجزاء وآتاك الله خير الثواب فى الدنيا والأخرة .**

والشكر موصول إلى السيد الدكتور/ محمد على محجوب الفقيه الماهر ذو العلم الرفيع صاحب الأسلُوب العذب فى إلقاء العلم على تلاميذه،كما اشكر له تواضعة كذلك سعة صدره لما بذله من جهد ووقت لتنظيم وتقويم عملى البحثى كى يكون على النسق السليم، ويكفينا شرفاً أن يُناقش ذلك البحث المتواضع ، ونسأل الله أن يُثبت خُطاك، ويرفع قدرك فى الدنيا والأخرة .

والشُكر ممدود إلى السيد الدكتور / السيد عبد الحميد فوده العالم المتواضع ، صاحب العلم الوفير والقدر الكبير، والسّمتْ الطيب والخلُق الحسن ،ذو المعرفة الواسعة، وهو يُعد من أصغر عمداء مصر سناً ولكنه أكبر قدراً ومكاناً ، ولم يأت ذلك من فراغ بل من فضل الله أولاً ، ثُم كفاحِهِ وعلمِهِ وتواضعه الجمِّ ثانياً ، وحُبِّ الناس له .. فزادك الله من علمه وفضله، ورفع قدرك فى الدنيا والأخرة .

الباحث

مُقَدِّمَة

بسم الله العليم الحكيم نبدأ . ونُصلي ونسلم على أشرف الخلق أحمد ﷺ ، أما بعد ...

نَوُد أن نوضح للقارئ فِى البداية أن هذِه الحقبة من التاريخ ، ألا وهى"تاريخ القانون الرومَانى" قد كَتب فيه الكثيرُون من أصحَاب العلم والفُقهاء وكبار الأساتذة الشُرفاء ، وأن هَذا البحث المتواضع الصغير لاقيمة له بجوار ماكتبهُ فُقهاء القانون السابقون منهم والحاضرون ؛ ولكن نَوُد أن نُلقى ومضة علمية أو لمحة بيانية نُوضح فيها تاريخ القانون الرومَانى ومراحل تطوره ومن أين آتى بتِلك القوة القانونية ، ويأخذنا الحديث إلى بيان مصادر القانون الرومَانى التى استقى منها مبادئه وأحكامه التى جعلت لهُ هذه المكانة الراقية وتلك المنزِلة العالية بين القوانين ، ومن جانب آخر نُوضح فِى (دراسة توضيحية) مدى تأثير القانون الرومَانى على الشرائع القديمة منها والحديث .

وقد ثار الجدل حول تأثير القانون الرومَانى على الشرائع السامية ، فكان ينبغى علينا توضيح ماهية الشرائع من حيث أصلها والأقوام التى نزلت عليهم ، ومصادرها الكريمة التى استقت منها أحكامها، وأخيراً توضيح مدى تأثير القانون الرومَانى على الشرائع السامية من عدمه ، بشكل موضوعي وعلمي، كى يكون للقارئ الفائدة العلمية الطيبة المُبسطة دون مللٍ أو حشوٍ أو تَزيُّد فِى المادة العلمية .

وعلى ماسبق بيانه ، كان واجباً علينا توضيح أهمية دراسة القانون وتاريخة وعلى الخصوص "تاريخ القانون الرومَانى" ، (ولا نقول إن من ليس لهُ تاريخ ..ليس لهُ حاضر أو مُستقبل) ، وإنما نقول إن من يُدرك التاريخ على الأقل سَيَّعْي ما يمُر به الحاضر ويُحاول أن يُخطط للمستقبل ، لأنها سُنّة الله فى كونه فتّارة يتأخر العقل ويسود الظُلم ويضيقُ الأُفق فَتَنحدِر الحضَارة ، وتّارة يتّسع الأُفق وتَتَفَتح المدَارك ويُبدع العَقْل فتَزدهر الحَضارة وتتَقَدم . وقد صدق الشاعر حين قال :

يزول عن الأرض أفرادُها ...وتبقى الشعوب بها والأُممِ

وعلى وجه موضوعى وعلمى وبطريقة موجزة واضحة سنوصى فى آخر البحث بعدة توصيات من الأهمية بمكان وجديرة بالتطبيق ، وماهى إلا تطبيقات كانت موجودة فى السابق فنرجو تفعيلها أو تقنينها كى ننهض بالأفراد و المجتمع وتصعد مِصر إلى المكانة العالية التى كانت تحتلها بين الأُمم فى السابق.وفى ختام تلك المُقدمة الوجيزة ، نرجو من الله أن يتقبل منا ذلك البحث ، وأن يجعلهُ عِلماً يُنتفعٌ به ، وقد صدق الشاعر حين قال فى مدح العلم وقيمة الكتاب الكبيرة :**نعمَ الأنيسُ والجليسُ كتابُ .. تسلو به إن خانت الأصحابٌ لامُفشياً سِراً إذا استودَعته .. وبه لعمُرى حِكمة وصوابٌ** .

وعلى الله التيسيرِ فِى الدُنيا والآخرة .

تمهيد :

من واقع التفاصيل التى شهدها الإنسان الأول فِى الطبيعة ، وجد أنه من المفيد أن يعيش فى جماعة ، بإعتبار ماتقدمه له من ضمان وحماية من الأخطار المحيطة فى البيئة التى يعيش فيها، حيث نواه الأُسرة الأولى-والإنسان لايدوم على حالٍ واحد بل تعتريه أحوال مُتغيرة من الصحة أو المرض والقوة أو الضعف[1]-وعلى هَذا برزت التجمعات البشرية الصغيرة ، والتى هيأت له فرصة اللقاء وتوسيع مجال الإتصال ، وبالتالى تحقيق التنوع فِى العلاقات والتى نجم عَنها ، مسألة العيش المشترك بَين الرجل والمرأة ، وبالتالى بدأ يتم رسم معالم وسمات العلاقات الإجتماعية فِى بيئة بعينها [2]. وبالتالى تظهر المجتمعات وتَنظيماتها ، ومن ثَّم مولد الشرائع القانونية القديمة .

وكان من ضمن الشرائع القديمة القانون الرومَانى الذى كان لهُ المكانة المرموقة بَين الشرائع القانونية القديمة لفائدته الكبيرة، وفيما يلى نوضح **ماهية القانون الرومَانى**

ذلك القانون الذى نشأ وطُبق فِى المجتمع الرومَانى مُنذ نشأه روما فِى القرن السابع أو الثامن تقريباً قبل الميلاد حتى تقنينه فِى مجموعات الإمبراطور جُستنيان فِى القرن السادِس الميلادى وذلك لايلغى مَجد القانون الرومَانى الذى ظل فِى أوربا حتى صدور التقنينات الحديثة خِلال القرن ١٩ الميلادى ، بالإضافِى إلى أن مجموعات جستنيان القانونية كان لها أكبر الأثر فِى تطور القانون الرومَانى الأخير ، وبصدورها استقرت القواعد القانونية الرومانية وظهرت بالشكل الذى نعرفه حتى الآن[3]مكانة ، وقد واجهت من الكثير التقليل من فائدة هَذا القسم فِى مجال القانون – قسم "تاريخ القانون وفلسفته" – . وبعدما عرفنا القانون الرومَانى فى تعريف وجيز نتطرق إلى **أهمية دراسته** ثم نوضح فى سطور **دوافع إختيار الموضوع** ويلي ذلك **خطة الدراسة** .

---

١) د/ محمد شُعيب عبد المقصود – زرع الأعضاء البشرية من حيث المشروعية وضوابطها – رسالة دكتوراه – كلية الحقوق ، جامعة القاهرة – ٢٠١٧ – ص ١ .

٢) د/ إسماعيل نورى الربيعى – موسوعة تكوين البشرية – المجلد ١- الطبعة الأولى – ٢٠١٢ – ص٢٩و٣٠

٣) د/ صوفِى أبو طالب – تاريخ القانون فِى مِصر – الجزء الأول فِى العصرين البطلمى والرومَانى – دار النهضة العربية – ط٢٠٠٢ – ص ٤١ ومابعدها .

١-أهمية دراسة القانون الرومَانى :

وترجع أهمية دراسة القانون الرومَانى لعدة عوامل وأسباب نُوضحها على النحو التالى :

أولاً : الأسباب العلمية و العملية :

تمكن الفقهاء الرومان - بما لديهم من ملكة قانونية فَذّة – من تصوير القانون ليس فقط باعتباره فناً ، بل أيضاً باعتباره علماً قائماً بذاته يختلف عَن بقية العلوم الإجتماعية ، كالدين والفلسفة والأخلاق . وإن كان يتأثر بها سواء فِى نشأته أم فِى تطوره ، وهذِه النظرة دفعتهم إلى وضع الأُسس العلمية التي تقوم عليها دراسة القانون .

ومازالت هذِه الأُسس هى العماد الذى تقوم عليه الدراسات القانونية الحديثة . وبالنظر للقيمة العلمية للقانون الرومَانى فإن جميع جامعات العالم تدرس هَذا القانون سواء البلاد التى تعتمد عليه كمصدر تاريخي لقانونها مثل أوربا والبلاد العربية أم البلاد التى يقوم نظامها القانونى على غير القانون الرومَانى مثل البلاد الأنجلوسكسونية والإتحاد الروسى والشرق الأقصى كاليابان والصين .... إلخ .

أما بالنسبة **للأسباب العملية** فكانت دراسة القانون الرومَانى لازمة لفهم القانون الخاص الوضعى المعاصر ؛ ويرجع ذلك إلى أن مُعظم القواعد القانونية والمبادئ الأساسية التى تُكون الهيكل العام للفكر القانون الأوربى المعاصر مازالت رومانية ، سواء من حيث مدلولها أم صياغتها أم مصطلحاتها ،وقد قيل بحق :"لايجوز لمن يتحرى الأصالة فى بناء كيانه القانونى ويتوخىَّ الإستقامة لتكوينه الفقهى أن يكون بمعزل عن دراسة قانون روما " [1]،كما أنه المصدر التاريخى لقانون نابليون الصادر فِى فرنسا عام ١٨٠٤ م ، وعَنه نقلت التقنينات الأوربية والتقنينات التى صدرت فِى البلاد العربية مُنذ نهاية القرن التاسع عشر ؛ وهو ما جعل للقانون الرومَانى مكانة سامية بَين الشرائع القانونية الحديثة أيضاً .فالقانون الرومَانى يُعد–بالنسبة لمُعظم قوانين الدول الحديثة- المصدر التاريخى الذى أخذت منه مُعظم القوانين والأصل الذى تفرعت عنه .

---

١) د/ محمد بدر – القانون الرومَانى – د.ن – جامعة عين شمس – ١٩٨٤م - ص ٣ .

ثانياً : صفته العالمية:يتميز القانون الرومَانى بصفته العالمية ، حيث كان فِى العالم القديم مطبقاً على مُعظم البلاد المتمدنة ، بل سنرى أن القانون الرومَانى– بالشكل الذى انتهى به مجموعات جستنيان– هو فِى الواقع نتيجة امتزاج ساهمت فيه مُعظم الحضارات القديمة بنصيب . على أن القانون الرومَانى لم يبدأ قانوناً عالمياً ، ولكنه على العكس بدأ قانوناً مُتواضعاً ، ليحكم شعباً صغيراً يسكن مدينة صغيرة ويعيش على الزراعة عيشة تكاد أن تكون عيشة بدائية . ولكنه مالبث أن انبسط سُلطانه باتساع سُلطان روما فِى إيطاليا ثم فِى حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهكذا امتدت هذِه المدينة الصغيرة إلى أن أصبّحت إمبراطورية واسعة يخضع لها مُعظم العالم المتمدن فِى ذلك الوقت ، ولاشك أن ذلك القانون الذى نشأ ليحكم مدينة ضيقة الحدود لم يعد يصلح –إذا لم تتناوله الأيدى بالتهذيب – ليحكم إمبرطورية مُترامية الآطراف . فاتساع الإمبراطورية ترتب عليه ازدياد التجارة الدولية ، فدخل الرومان فِى علاقات مع سُكان البلاد الأُخرى ، وبدا القانون الرومَانى القديم غير صالح ولا كافٍ لِحكم هذِه العلاقات الجديدة ، فهو برسمياته وشَكلياته يقصر دون مُجاراة ماتحتاج إليه التجارة الدولية من سرعة فِى المُعاملة . أمام هذِه الظروف هُذبت قواعد القانون الرومَانى العتيق ، ونشأت فيه قواعد جديدة تُلائم العصر الجديد ، واستطاع القانون الرومَانى أن يُساير الإمبراطورية الرومانية فِى اتساعها من جهة ، ومن جهة أُخرى فقد كانت لشعوب الإمبراطورية قوانين سائدة فيها قبل خضوعها لحكم الرومان ، ومُعظم هذِه القوانين كان مزيجاً من عادات محلية وقواعد القانون الإغريقى . فلما امتد سُلطان روما إلى هذِه الشعوب تأثر القانون الرومَانى بقوانين تلك البلاد وعاداتها ،كما تأثرت هذِه القوانين وتلك العادات بقواعد القانون الرومَانى، وهذا ما سنتحدث عنه –إن شاء الله –فى الباب الثالث . وهَذاما أدى إلى تغيير القانون الرومَانى فِى عصر الإمبراطورية السُفلى عما كان فِى العصر العلمى حتى انتهى إلى مجموعات جُستنيان[1] .

هذِه الصفة العالمية التى اتصف بها القانون الرومَانى فِى تطوره هى التى ساعدته على أن يكون فِى العصور الحديثة الأساس العالمى لمُعظم تقنينات الدول .

---

١) الأستاذان / بدر والبدراوى – مبادىء القانون الرومَانى "تاريخه ونُظمه" – مطابع دار الكتاب العربى بمِصر – ١٩٥٤–ص٣ومابعدها .

ثالثاً : مُقاربته للكمال فِى تَنظيم قواعده وعلُوها : فالباحث فِى القانون الرومَانى يُدهشه ذلك السمو فِى التفكير الذى كان عليه فقهاء الرومان ، ولاشك أن مُناقشاتهم مازالت إلى الآن نموذجاً للجدل القانونى الرفيع ، فقد كانت لديهم تلك القُدرة اللازمة لرجل القانون : القدرة على استخلاص المبادئ العامة وصياغتها حتى يمكن بعد ذلك تطبيقها على نوع معين من الوقائع والأحداث . ولقد تأثر فقهاء القانون الرومَانى—وعلى الخصوص فِى أواخر العصر الجمهورى- بالفلسفة اليونانية ، تأثراً بدا فِى مواضع عدة . على أن فقهاء الرومان حَرِصُوا دائماً على عَدم الخلط بَين الفلسفة والقانون ، وعلى اعتبار القانون علماً قائماً بذاته قد يتأثر فِى بعض حلوله وقواعده باعتبارات فلسفية ، ولكن مُستقل عَن الفلسفة ومُتميز عَنها .

ولقد كان للفقهاء النصيب الأكبر فِى تقدم القانون الرومَانى وفِى بقائه إلى الآن كأساس لمعظم الشرائع . فنظرياتهم وتقسيماتهم ومصطلحاتهم مازالت إلى الآن مُشتركة بَين التشريعات الحديثة . فالقانون الرومَانى هو بحق اللغة العامة للفقه العالمى (lingua franca) .

ولقد بدت ميزة القانون الرومَانى فِى قربه من الكمال وعلوه ، بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية ، للقبائل المتبربرة التى تعرضت لغزواتها أوربا فِى بدء العصر الوسيط ، والتى استقر بها المقام هُناك فأسست فيها دويلات . ذلك أن هذِه القبائل لم تكُن لها حضارة يمكن أن تُدانى الحضارة الرومانية ، وإنما كانت قبائل تعيش فِى الغابات وتحترف الغزو ولاتَعرِف استقراراً ولاتجارة ؛ ومن ثم كانت عاداتها بدائية ، وقواعدها العُرفية قليلة لاتُنظم إلا بعض مسائل أولية . وكان قوام العادات الجرمانية— مثلاً- إعطاء الزوج حقوقاً على ملكية زوجته وإعطاء السيد حقوقاً على تابعيه . ولكن عَندما بدأت هذِه القبائل تستقر فِى المدن وتَحيا حياة الحضر ، ظهرت حاجتها إلى التجارة وبالتالى إلى القواعد المنظمة لها ، وهى لم تجد هذِه القواعد فِى عاداتِها الخَاصة ، وإنما وجدتها فِى القانون الرومَانى الذى أدهشها بدقة تَنظيمه وتناوله كل مسألة طرأت لها فِى حياتها الجديدة .

رابعاً : طول عُمر الإمبراطورية الرومانية : ساعد على تدعيم مركز القانون الرومَانى ، ذلك هو علو مكانة الإمبراطورية الرومانية نفسها . فلا شك أن طول عُمر هذِهالإمبراطورية واتساع رقعتها كانا من الأسباب التى عززت مركزها القانونى . فلقد عاشت الإمبراطورية الرومانية فِى الغرب مُده أحد عشر قرنا ، وامتدت وعاشت فِى الشرق حتى سقوط القسطنطينية فِى يد محمد الفاتح . وهَذا التاريخ الطويل الذى عاشته الإمبراطورية الرومانية هيّأ لقانُونَها الآسباب التى تجعله قانوناً صالحاً لكل زمان ، يمتد حتى بعد إنحلال الإمبراطورية الرومانية . ففِى الغرب لم يختف القانون الرومَانى بإختفاء الإمبراطورية الرومانية فِى القرن الخامس نتيجة لغزوات القبائل المتبربرة . واذا كان القانون الرومَانى قد اختفِى مدة طويلة بسبب هذِه الغزوات إلا أنه عاد وبعث من جديد فِى العصور الوسطى ، حينما أحس أهل ذلك العصر بِسمُو قواعد القانون الرومَانى على قواعدهم العُرفية ، فَغلّبوه –وخاصة فيما يختص بالالتزامات– على هذِه القواعد خِلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر وعلى الخصوص القرن الرابع عشر . وفِى القرنين الخامس عشر والسادس عشر نجد قواعد مُستمدة من القانون الرومَانى مُطبقة أمام المحاكم فِى فرنسا وإيطاليا وألمانيا ؛ حتى القرن الثامن عشر وأشهر فقهائه بوتييه (Pothier) كان من شُراح القانون الرومَانى ، إذ وضع شرحاً هاماً لموسوعة جستنيان (Digesta) .

خامساً : مُساندة الكنيسة للقانون الرومَانى : ساعد على نَجاح القانون الرومَانى وبقائه أساساً للتشريعات الحديثة ذلك هو تعضيد الكنيسة له فِى أول الآمر ، ذلك التعضيد الذى كان له فضلُ كبير فِى إنتشار القانون الرومَانى فِى العصور الوسطى . وتفصيل ذلك أنه بعد سقوط الإمبراطورية الغربية كانت القاعدة هى شخصية القوانين ، بمعَنى أن المحاكم لاتطبق قانونها المحلى ، وإنما تطبق قانون المدعى عليه . وقد فضلت الكنيسة تطبيق القانون الرومَانى فيما يختص بأعضائها . فكل المسائل التى تتصل بملكية رجال الدين كانت خاضعة للقانون الرومَانى . ومن هنا جَاء قولهم ، إن الكنيسة تحيا وفقاً للقانون الرومَانى (ecclesia vivit lege romana) . ومما لاشك فيه أنه عَندما تكونت قواعد القانون الكنسى وأصبح نظاماً مُتميزاً بذاته ، أعفت الكنيسة نفسها من الخضوع لآحكام القانون الرومَانى ، بل إنها ناصيته العداء فِى كثير من الآحيان ، ولكن ذلك كان بعد أن تأيد مركز القانون الرومَانى وبعد أن ثبتت قدمه . أما قبل ذلك ، وفِى بداية كفاح القانون الرومَانى ، فإن

مصيره كان لاشك يختلف عَن هَذا المصير الذى آل إليه لولا أن الكنيسة ورجالها–وهم الطبقة المستنيرة فِى المجتمع– ناصبوه العداء .

تلك هى الأسباب التى هيأت للقانون الرومَانى مترلته العالمية بَين الشرائع القديمة والحديثة على السواء ولاشك انه وجِدت فِى العالم القديم شرائع أُخرى ، حكمت هى الأُخرى إمبراطوريات كبيرة ، ولكن لم يكُن لها هَذا النصيب الذى كان للقانون الرومَانى ، ولِهَذا لايكاد يدرس فِى الجامعات الأجنبية كدراسة تاريخية إلا القانون الرومَانى . والسبب فِى ذلك يرجع فِى كثير من الأحيان إلى صعوبة تَتَبُّع قواعد هذِه الشرائع بشكل قاطع للشك ، وهَذا يصدق على القانون البابلى والاغريقى مثلاً . أما القانون المِصرى القديم ، ونقصد به قانون مِصر الفرعونية[1] ، فهو قانون استمر مُدة طويلة لأنه عاصر مدينة عاشت مُدة كبيرة من الزمن . فهو من هذِه الجهة يُشبه القانون الرومَانى ، وكان من الممكن ان يكون هو الآخر نموذجاً لدراسة الشرائع دراسة تاريخية ، ولكن قدر مانعرفه عَنه ضئيل لايكفِى لتدريسه على هَذا الآساس . هَذا إلى أن وثائقه التى يُمكن الرجوع إليها ليست فِى مُتناول رجال القانون بسبب اللغة التى كُتِبت بها . أما القانون الرومَانى فوسائل دراسته مُيسرة ووثائقة فِى مُتناول الجميع .

ومما سبق سرده أصبح القانون الرومَانى نموذج للدراسة القانونية التارخية فبدراسة هَذا القانون نرى مثالاً فريداً لكيفية نشوء الشرائع وتطورها ووسائل هَذا التطور وأسبابه ودواعيه.

على أن لدراسة القانون الرومَانى بالنسبة لقانوننا الوضعى أهمية مباشرة . فمن المعروف أن المجموعة المدنية القديمة أخذت عَن مجموعة نابليون ، وهذِه الاخيرة أخذت عَن كتابات شُراح القانون الفرنسى القديم ، وعلى الخصوص بوتييه (pothier) . وهؤلاء إنما كانوا يُفسرون القانون الرومَانى كما فهموه . فكأن القانون الرومَانى هو فِى الواقع المصدر التاريخى لقانوننا المدنى . على أن شُراح القانون الفرنسى القديم قد وقعوا فِى كثير من الأخطاء

---

١) من الجدير بالذكر أن العُلماء قد اختلفوا ، ولايزالون مُختلفين ، فى تحديد بداية التاريخ المصرى وتحديد الزمن الذى تم فيه توحيد القُطرين ، ولم يكُن تقسيم ما بعد التوحيد إلى إحدى وثلاثين أُسرة الذى قام به الكاهن المصرى مانيتون Manethon فى القرن الثالث قبل الميلاد بمُغن شيئاً فى ضبط هذا التحديد لم اعتورُه ، وغيره من الوثائق فى هذا الشآن من نقصٍ واضطراب . أُنظر فى ذلك د/ محمد بدر –بحث فى تاريخ القانون المصرى فى العصر الفرعونى–مجلة العلوم القانونية والإقتصادية – العدد الأول – السنة الخامسة عشر – كلية الحقوق ، جامعة عين شمس – يناير ١٩٧٣م – ص ٢٨٣ .

عَندشرحُهم لِنُظم القانون الرومَانى ، وقد انتقلت هذِه الاخطاء عَنهم إلى المجموعة المدنية الفرنسية[1] .

ويُلاحظ أن صدور المجموعة المدنية المِصرية الجديدة لم يُغير فِى هذِه الحقيقة السابقة . فالقانون المدنَى الجديد مازال أساسه الآول هو القانون الرومَانى ، وإن رجع واضعوه أيضاً إلى مصادر أُخرى أهمها الشريعة الإسلامية ثم القانون المُقارن .

فدراسة القانون الرومَانى لازمة إذن لِتفهُم قانوننا الحالى ، متى سلمنا بأننا لانستطيع فهم الحاضر إلا على ضوء الماضى ، ومتى علمنا بأن من يتصدى لعلم القانون بالدراسة أو التدريس يجب عليه ألّا يُدرس الآنظمة الحالية كما هى ، بل عليه أن يُفتش عَن أصلها ، ويبحث فِى ماضيها .

٢- دوافع إختيار الموضوع:من أسباب إختيار الموضوع توضيح مكانة القانون الرومانى ومدى تأثيره على قوانين الدول القديمة والحديثة ، ومن أسبابه أيضاً وجود بعض الإتجاهات التى تَدعىِ أثر القانون الرومُانى فى الشرائع السمَاوية ، فكَان ينبغى علينا أن نواجه تلك الإتجاهات فى دراسة توضيحية و بشكل موضوعى وحيادى ، ولا نُنكرمُساعدة د/ محمود السقا فى إختيار موضوع البحث .

٣-خطة الدراسة:أردنا أن نتكلم فى أول مَنهج البحث عن نشآه القانون الرومَانى الذى يُمهد الطريق إلى الحديث عن مصادر ذلك القانون العريق ، وهل أثر فى شرائع العالم القديم والحديث من عدمه ، وعلى النحو التالى نوضح منهج الدراسة :

الباب الأول : نَشأه القَانوُن الرومَانى وتَاريخه .

الباب الثانى : مَصادِر القانوُن الرومَانى.

الباب الثالث :تَأثّير القَانُون الرومَانى فِى الشّرَائِع وَمَدَى تَأثُرُه بِهَا .

---

١) د/ الأستاذان بدر والبدراوى – المرجع السابق – ص ٧و٨ .

الباب الأول
نشأة وتاريخ القانون الرومانى